الجزء السادس — السنة الخامسة

المعلم

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

تصدر في نيويورك وتنشر للشرق مدنية الغرب وللغرب مدنية الشرق

نيويورك — ١ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٦ — ١٣ شعبان سنة ١٣٢٤

صوت من بعيد

هل في مصر حزب وطني وله زعيم

٢

حزب الناسيوناليست في مصر

قبل البحث في هذا الموضوع نشير الى خطاء في الترجمة يقع كلما بحثت الجرائد الاوروبية في « حزب مصر الوطني » فهي تسميه Nationaliste والمترجمون الى العربية يترجمونها « وطني » وهو خطاء لان كتاب اوروبا وساستها يريدون بهذه الكلمة معنى آخر . فعندهم كلمتان الاولى Patriote او National والثانية Nationaliste فمعنى ناسيونال عندهم ما خُص بالامة (Nation) كالراية والجيش والحكومة وباقي المصالح . ومعنى (باتريوت) (وطني) من (Patrie) وهو الرجل الذي (يحب وطنه ويسعى في نفعه) واما كلمة Nationoliste فمعناها (الحزب الذي يتألف في الامة من أُناس غرضهم تفضيل وطنهم على باقي الاوطان) (١) ولا نعلم بماذا نترجم هذه الكلمة (ناسيوناليست) ولذلك نبقي لهذا الحزب هذا الاسم في فرنسا وانكلترا مثلاً كل الناس Patriotes نعني (وطنيين) يحبون نفع وطنهم

(١) تعريف لاروس

وما كلهم (ناسيوناليست) لان الناسيوناليست في انكلترا هم الحزب الايرلندي الذي يسعى في استقلال ايرلندا والناسيوناليست في فرنسا هو الحزب (الكثير الحركة القليل العمل) الذي تألف حين ظهور حادثة دريفوس وكان زعيمه ديروليد وهابار وجول ليمتر وفرنسوى كوبه . وقد تألف يومئذٍ هذا الحزب لمقاومة الحكومة الجمهورية فانشأ « عصابة » دعاها « عصابة الوطنيين » او « الوطن الفرنسوي » وغرضها مقاومة نفوذ اليهود وسلطتهم ومنع اي تداخل من الاجانب في الشؤون الفرنسوية . وكان هذا الحزب يضم حزب ديروليد وحزب الملكيين والامبراطوريين وخصوم اليهود معاً . وكانت الجرائد الكبرى كالطان والديبا « وهذه مالت اليه بعض الميل آخراً وكانت ضده اولاً) تهزأ به لانه لم يكن يسمي « وطنياً حقيقياً » الا من كان على رأيه . ومنذ اسبوعين كتبت جريدة الطان فصلاً افتتاحياً موضوعه طلب الصين دستوراً ومجلساً نيابياً فافتتحته بقولها ان في بعض « المرامح » في الصين نشيداً هذا مطلعه « يا اهل الوجوه البيض لا تظنوا انكم ستعذبون الجنس الاصفر بعد اليوم دهراً طويلاً » قالت الطان « ولكن هذا التحمس تحمس شبان والناسيوناليست موجودون في كل مكان »

فاوروبا حين كلامها عن حزب مصر انما تريد به « حزب الناسيوناليست المصري » لا « الحزب الوطني » اذ بين التسميتين فرق عظيم . ولذلك تسميه Nationaliste لا Patriote وتمثله في ذهنها كالاً حزاب الناسيوناليستية التي في بلادها ١) لانها لا تجهل انه يكون عادة خارج هذا الحزب في كل امة اناس عقلاء يغارون على مصالح اوطانهم غيرة هذا الحزب ولكنهم لا يرون رأيه في الطرق المؤدية اليها

نظرنا في ما تقدم في معنى كلمة « وطني وناسيوناليست » فلننظر الآن في معنى كلمة « حزب » . الحزب في السياسة . « تألب جماعة على جماعة اخرى لاختلاف آراء الفريقين ومصالحها » (٢) فيلزم اذاً لاستيفاء شروط الحزب امران . الاول وجود « الجماعة » التي تريد مقاومة اراء ومصالح لا تنطبق على آرائها ومصالحها والثاني « تألب هذه الجماعة » اي اجتماعها عصبة واحدة وتعاضدها توصلاً الى بلوغ مرادها . فلننظر الآن هل في مصر شيء يحق له ان يسمى « حزباً »

---

(١) اخصها حزب الناسيوناليست البولوني في النمسا والمانيا وحزب التشك في النمسا والحزبان الفرنسوي والايرلندي المشار اليهما آنفاً

(٢) تعريف لاروس

اذا كان في مصر حزب ناسيوناليستي كما تقول صحف اوروبا فلا شبهة في انه ليس فيها « حزب » بالمعنى الحقيقي الذي لهذه الكلمة . فان مقتضيات الحزب كما ذكرنا امران « الجماعة » و « تألبها » فالجماعة موجودة في مصر وكراهة القوة المحتلة متأصلة فيها ولكن ينقصها « التألب والاجتماع » فهي عبارة عن اعضاء متفرقة لا جامعة حقيقية بينها غير الجامعة الدينية ولا مقدرة لها على التعاضد لرسم خطة محدودة وتنفيذها بطرق محدودة للوصول الى غرض معلوم محدود

ولبيان ذلك نقول :

بدء حكم أمير

لما توفي الخديوي توفيق عاد الى مصر نجله الاول سمو الامير عباس الثاني من اوروبا حيث كان يتم دروسه لكي يجلس على عرش الامارة في مصر خلفاً لابيه . وكان سموه في ريعان الشباب والشبيبة مشهورة بالحماسة والمخاطرة والاقدام على الامور العظام . فاستقبله شعبه في مصر استقبالاً لم يرَ له مثيل . فان شعباً هائلاً احاط بمركبته حين نزوله من الباخرة احاطة الهالة بالقمر فحلّ خيل المركبة واخذ يجرّها بنفسه . وكان الحماس بالغاً حده حول ذلك الشاب الجميل الشامخ الرأس . الممتلئة عيناه من كبرياء وآمال الشباب . الذي كل حركة من حركاته تدلّ على انه ملك شرقي كبير اعتاد الامر والنهي . الذي رُفع بغتة كما بخطف خاطف من بين الكتب والاوراق — اي من وسط عالم فكري محض — ووُضع بغتة وسط عالم عملي مضطرب . لقد قرأ في المدرسة تاريخ رجال الثورة الفرنسوية الذين جهروا في العالم بحقوق الانسان ، وكتابات روسو في حرية الشعوب وتاريخ استعمار الاوروبيين لبلاد المشرق . لقد ربى في جسمه في اثناء درسه روحاً غربية محضة قوّاها الدرس والعلم وكبرت مطامعها ووسعت افقها السياسة والرئاسة وانار طبيعتها قبس الحرية وجملتها وزينتها الموسيقى والفنون الجميلة . وبعد ذلك كله جيء بها لكي تجلس على العرش جامدة ساكنة لا وظيفة لها الا الموافقة على ما تفعله في بلادها سلطة اجنبية احتلت بلادها

لو سئل رجل ذو نظر ثاقب حين نزول سموه على الرصيف يومئذٍ ماذا تكون وظيفة هذا الشاب الممتلىء قوة ونشاطاً الذي جاء للجلوس على عرش اجداده لاجاب على سبيل التخمين ان سموه سيسلك طريقين . الاول الوقوف في مقدمة شعبه والصعود به من « الحالة الشرقية » الى « الحالة الغربية » التي اشربت نفسه جميع شؤونها . فانه يجعل نفسه بمنزلة نواة تلتف وتجتمع حولها جميع العناصر القوية النافعة في الامة وتندفع معه الى

امام تاركة وراءها من يريد الاستمرار على البقاء وراء او ساحبة اياه معها طوعاً او كرهاً. وهذه افضل الطرق لتقوية عروش الملوك والامراء الذين يخشون على عروشهم من شعب يتنبه لعدم فائدتها . لان الشعب على الدوام انما يساق بعقول اهل العقول الذين بها يثيرونه وبها يسكنونه. فتقديم اهل الاقدام والعمل وجمع كلمة اهل الذكاء والرأي والنزاهة والاخلاص في الامة لدفعهم جميعاً في سبيل واحد وهو اثارة نشاط الامة ودلالتها على طريقها سياسياً واجتماعياً تلك هي واجبات كل رئيس امة . واسى رجل غير ملكٍ شاب خارج من ارقى كليات اوروبا يصح ان يكون مصدراً لهذه القوة الاجتماعية وهذا النشاط . والطريق الثاني تنفيذ المبادىء التي تلقاها الملك الشاب في كليات اوروبا نفسها وهي ان الحرية والاستقلال للامة بمنزلة الدم للجسم ولا حياة حقيقية لها الا بهما. لان الامة اذا لم تكن قابضة بيدها على ازمة شؤونها لتديرها بلا قيد ولا شرط حيثما ترى مصلحتها فلا يرجى لها نهوض وتبقى في درجة الرق . فالذي رأى سمو الخديوي يوم قدومه من اوروبا للقبض على ازمة بلاده لم يكن يلزمه كثير من الفطنة والذكاء ليحكم بان سموه سيسلك هذين الطريقين : معارضة الروح الشرقية التي تؤخر امم الشرق ومعارضة الاحتلال

اما معارضة الاحتلال فقد فعل فيها الجناب الخديوي في بدء ملكه كل ما يجب ان لم نقل اكثر . فيومئذٍ كان في مصر « حزب وطني » الخديوي رأسه . وليس يصح ان يسمى هذا الحزب « ناسيوناليست » لسببين . الاول ان صاحب السلطة في البلاد زعيمه نفسه والثاني انه كان ذا صبغة سياسية محضة لا دخل فيه لصبغة دينية فضلاً عن ان هذا الحزب الوطني كان يعتمد على فرنسا صاحبة المصالح الكبرى في مصر وعدوة انكلترا القديمة . وكفى برهاناً على ذلك ان جريدة هذا الحزب كانت يومئذٍ جريدة الاهرام المسيحية السورية وكانت الصحف الانكليزية تحرق الارم عليها وتتساءل من اين تأتي هذه الجريدة باخبارها. وكانت تتساءل ذلك وتعلم ان صاحبها المرحوم نقلا باشا كان يستقيها من نبع ذلك الحزب اي من زعيمه نفسه . فيومئذٍ اختلجت حقيقةً روح مصر وخفقت خفقاناً شديداً في صدر الملك الشاب عباس الثاني كما ان روحه خفقت في صدرها. وبلغ اشد المعارضة في « حادثة الحدود » المشهورة التي اضطر الجناب الخديوي فيها ان يرجع في ملاحظات ابداها حين استعراض الجيش المصري وقدم اليه السردار كتشنر باشا استعفاءه بسببها وقامت قيامة الاحتلال من اجلها . فعرف الحزب الوطني يومئذٍ حقيقة حالته من الضعف وهول القوة التي أقدم على معارضتها. ولما وقعت حادثة « فشوده » ذهب آخر امل له . فان كتشنر

باشا بعد فتحه ام درمان وابادة سلطة الدراويش سمع بان قوماً من البيض احتلوا فشوده فركب السفن الى فشوده مع فريق من جيشه فوجد ان القائد الفرنسوي مرشان سبقه اليها. فطلب منه كتشنر باشا باسم جلالة السلطان صاحب السيادة على السودان المصري ان يخلي فشوده لانها من املاك مصر. نعم انك تقرأ هنا كلاماً ليس فيه غلط مطبعي ان كتشنر طلب من مرشان هذا الجلاء « باسم جلالة السلطان » ولما ابى مرشان الخروج من فشوده بحجة « ان الارض في افريقيا للسابق اليها » مدّ سفير انكلترا في باريز يده الى جيبه ليخرج منها للمسيو دلكاسه وزير خارجية فرنسا « انذاراً نهائياً » بعده الحرب. ولكن المسيو دلكاسه رجل نبيه فلما فهم اشارة السفير قال مازحاً لا لا اننا لا نتقاطع الى هذا الحد من اجل افريقيا فاذا كانت فشوده « عزيزة » عندكم الى هذا الحد فاننا نتركها لكم. ثم اخلى فشوده

ان الباب العالي اتى غلطتين لا يغفرهما له التاريخ. الاولى رفضه طلب انكلترا في بدء الاحتلال ان تتعهد بالجلاء عن مصر بعد سنتين على شروط اشترطتها. والثاني سكوته يوم حادثة فشوده عن الاحتجاج الذي احتج به كتشنر باشا باسمه. فانه اذا كان حقيقة في نيته ان يثير المسألة المصرية يوماً ما فقد كان يجب اثارتها يومئذٍ بحجة فشوده لا بالامس بحجة طابه

وبعد حادثة فشوده علم الحزب الوطني في مصر ان فرنسا لا تحارب انكلترا من اجل مصر وان مصر ضعيفة بنفسها عن مقاومة انكلترا ومعارضتها. فاختار الجناب الخديوي سياسة المسالمة كرهاً لا طوعاً فزار لندن وقابل جلالة الملك ادوار فقوبل فيها بحفاوة نادرة المثال. ولا نزال نذكر صراخ جريدة المؤيد يومئذٍ بشأن حديث لسموه وهو في اوربا اظهر فيه رغبته في سياسة المسالمة والاتفاق. فانها لم تحجم عن القول لسموه « أ إبن محمد علي يقول هذا القول » واسفاه ايها الاستاذ. انك اضطررت بعد الاختبار ان تقول مثل هذا القول في المأدبة التي ادبها لك اصحاب الصحف الانكليزية في عاصمة بلادهم منذ ثلاث سنوات. ولقد سمعت من مصر من يصيح بك مثل ذلك الصياح. لقد سمعت « اللواء » يقول: هل الشيخ علي يقول هذا الكلام. اذاً لقد باع وطنه بذلك الطعام

فلما تنحى الجناب الخديوي في الظاهر عن معارضة الاحتلال انفرط عقد الحزب الوطني القديم لعدم وجود راس له وفقده النواة التي يجتمع حولها ويكون له قوة بها. فاصبحت الآراء في مصر بشأن الاحتلال يمكن حصرها في اربعة

الاحزاب في مصر

(الرأي الاول) رأي الذين سمتهم جريدة الاجيبت الفرنسوية التي تطبع في مصر « الافاقين » قالت هذه الجريدة يوم عقد الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على مصر ومراكش ما خلاصته : يجب على زعماء المصريين ان لا يدهشهم تخلي فرنسا عنهم لانهم اثبتوا انهم لا يقدرون على عمل جدّي لان جهدهم كان في نيل الرتب والنياشين وجلبة فارغة . ثم قالت ما معناه ان مصر لا تنال حريتها واستقلالها بجماعات الافاقين الذين يملأون مصالحها وادارتها ولا همّ لهم غير الحرص على رواتبهم وجر النفع لانفسهم . وان انكلترا بامثالهم تنشيء المستعمرات الخصيبة

ومعنى ذلك ان القوي يستميل الناس ويستأسرهم بالمنافع التي يمكن ان ينالوها عن يده فيقيمون على خدمته ما بقيت لهم هذه المنافع . ومصر ملأى باصحاب هذا الرأي من غرباء ومصريين

(والرأي الثاني) رأي اهل المسالمة . فهم يرون ان اوروبا قد تخلت عن مصر ومصر ضعيفة بنفسها عن مقاومة الاحتلال . فاذا استمروا على هذه المقاومة كان مثلهم مثل ضعيف يقاوم قوياً فلا تفيده المقاومة بل تضره . ولذلك رأوا المسالمة لتستفيد مصر من الاتفاق بينهم وبين الاحتلال كل ما يمكن استفادته . فهم يضعون مسألة الحرية والاستقلال الى جانب ويقولون للمحتلين تعالوا لنعمل معاً على خدمة مصر وترقيتها بدل ان نتعادى ونتقاطع دون فائدة لنا او لكم . وحجتهم هذه قوية في حد ذاتها متى كان الاحتلال مخلصاً في قبول هذا الاتفاق ولا يقصد به استغراق الامة والاستيلاء عليها . ورأس هذا الحزب عطوفة مصطفى باشا فهمي رئيس النظار والمرحوم الشيخ محمد عبده . واليوم تمثله جريدة المؤيد على ما نظن .

(والرأي الثالث) رأي اهل المعارضة في الاحتلال الى ما شاء الله . فانهم يقولون ان المستعمرين لا يقصدون من المستعمرات الا جعلها بقرة حلوباً لهم . فاذا وافقناهم وسالمناهم سهلنا لهم هذا السبيل وربينا اليأس والاستماتة في نفوس اهل الامة فتصبح رمة بين ايديهم . اما اذا عارضناهم فنربي الامل والرجاء في نفوس الناس للاستفادة به في اطوار التاريخ ومفاجئات الزمان التالية اذ من يعلم ما سوف يجيء به التاريخ والزمان . ولئن ماتت مصر وهي محاربة معارضة فذلك موت الكرام وهو خير لها من ان تموت موت الجبناء . أفلا يهزأ بنا الغربيون وبضعفنا اذا لم يسمعوا منا صوتاً يصرخ ولم يروا فينا عرقاً ينبض ونحن تحت النير . المثل هذا درسنا وتعلمنا وذقنا بالفكر حلو الحرية والاستقلال عند الشعوب — نقول وهذه الحجة قوية ايضاً لولا الاعتراض الذي يُعترض به عليها وسيرد ذكره فيما يلي

(الرأي الرابع) رأي الذين يكرهون الاحتلال والمحتلين بعواطفهم لا بعقولهم لانهم على دين غير دينهم وقد زادت هذه الكراهة عندهم بما يقرأونه في جرائدهم . ونريد بهؤلاء جمهور السذج الذين اشرنا اليهم في المقالة الاولى في الجزء السابق . ويدخل في ذلك الناقمون على الاحتلال اما لعدم تمكنهم من الاستخدام في مصالح الحكومة واما لرفتهم منها واما لخسارتهم دعاوي كانت لهم في المحاكم وكان الحق فيها معهم او عليهم واما لكونهم زراعاً ورأوا باعينهم مياه الري تباع بالذهب الوهاج لجارهم بينما زراعتهم تحترق بحر الشمس وهم ينظرون او غير ذلك

هذه هي الاحزاب الموجودة في مصر اليوم . على ان هنالك «حزباً خامساً» لم نشر اليه بعد وهو اعظم تلك الاحزاب قوة وسلطة وان كان قليلاً عدده . ونريد به حزب الشركات والبنوك والتجار واهل الاطيان والاموال فاكثر هؤلاء ان لم نقل كلهم راضون عن الاحتلال كل الرضى لان وجوده خير ضمين لاموالهم .

فهم الحيتان التي تصطاد في كل مكان فيه نظام وامان «اي النظام الذي يريدونه» و٩٠ في المائة منهم اجانب غير مصريين . وانك لترى الاموال الاوروبية تنهال على مصر انهيال السيل الجارف بعد الاتفاق الذي عقد بين فرنسا وانكلترا بشأن مصر ومراكش لان هذا الاتفاق يوطد قدم الاحتلال في وادي النيل . ويمكن ضم «حزب سادس» الى الاحزاب التي تقدم ذكرها وهو حزب الطوائف والامم الصغيرة التي ترى في وجود الاحتلال في مصر سببًا لوجود العدل والمساواة المطلقة بينها و بين العنصر السائد الكبير . وهي ترى الاحتلال بمنزلة «حكم عادل» بين جميع العناصر والجنسيات والمذاهب يمنع بعضها من الجور على البعض الآخر

فاذا عدنا الآن بعد هذا البيان الى الحزب الذي تعنيه جرائد اوروبا وانكلترا عند كلامها على «حزب الناسيونااليست المصري» وجدنا انه الحزب الثالث المشار اليه آنفًا . وكان يمثل هذا الحزب من قبل دولتلو رياض باشا ولكن الخطبة التي القاها منذ نحو سنتين امام الجناب الخديوي في احدى الحفلات والتي ادهشت اهل مصر جميعًا تدل على ان دولته عاد الى مبداء عطوفة مصطفى باشا فهمي (١) ولكن لما كان رياض باشا يمثل هذا الحزب كان الحزب كبيرًا موجودًا بالحقيقة . وكان له رؤوس يديرونه وينفقون عليه الاموال الطائلة . وكان مركزه كما تقدم قصر عابدين وقصر الوكالة الفرنسوية . اما الآن فالحزب المذكور بعد ان تنحى الكبار عنه لا مركز له ولا مال ولا خطة . وان جريدة اللواء التي تمثله اليوم قلما تجد لصوتها صدىً الا في صدور الطبقات التي لا اهمية لها الا في التحمس . على ان تاثيرها عظيم في هذه الطبقات . ولو قدرت ان تؤثر مثل هذا التأثير في

(١) في اخبار مصر الاخيرة انه شاعت فيها اشاعة عن تبديل بعض الوزراء ودخول سعادتلو محمود باشا رياض نجل دولتلو رياض باشا في الوزارة

الطبقات العليا لكان يصح ان يقال ان في مصر حزباً وطنياً حقيقياً . وسيرد الكلام في المقالة التالية على العلاقة التي لهذا الموضوع بالجامعة الاسلامية التي هي الغرض الثالث من هذه المقالات والسبب الاول في كتابتها (ستأتي البقية)

الضرائب عدالتها وحيفها

بحث اقتصادي عمراني

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني (١)

كانت الضرائب في القديم تؤخذ من غلة الارض عشوراً ونحوها لان الزراعة كانت حينئذٍ اهم موارد الرزق واساس كل دخل تقريباً ولما نمت الصناعة والتجارة وصارتا بابين للدخل مهمين استنبط الحكام والساسة والمشترعون رسوماً جديدة على المصنوعات والمتاجر كالرسوم الجمركية ونحوها ولكن بقيت الحكومات تتوكأ في جباية الضرائب بالاكثر على غلة الارض ولم تزل كذلك الى الآن في اكثر الممالك

ولما وفرت في العهد الاخير موارد الصناعة والتجارة والملاحة والصرافة وسائر الاعمال المالية وربت جداً على الموارد الزراعية تنبه علماء الاقتصاد وساسة الممالك الى ان القاء معظم الضرائب على عاتق الزراعة وحدها حيف بها واجحاف بالزراع واصحاب العقار فنشأت

(١) حاشية من المجلة -- البحث في الضرائب وطرقها بحث من اهم المسائل الاجتماعية في هذا الزمان فان « الضريبة على الايراد او على الدخل » تشغل افكار الساسة في كل مكان . وهوذا البرلمان الفرنسوي يستعد للبحث فيها وتقريرها تخفيفاً عن عاتق الصغار وزيادة لدخل الحكومة من دخل الكبار زيادة تتمكن بها من انشاء المشروعات العمومية النافعة للشعب . ولما عاد المستر براين من سياحته في اوروبا في هذا العام اشار في خطبته المشهورة في نيويورك الى وجوب « ادخالها الى الولايات المتحدة » فعارضته الصحف بان هذه الضريبة « فكر اجنبي غريب عن اميركا » ولكن ذلك لا يمنع انها من اهم المسائل التي تساعد على حل المسألة الاجتماعية